Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

دلالة العنوان في رواية الشفق للجيلالي جلاص

شريط بدرة
جامعة وهران–الجزائر
basma.cheriet@yahoo.fr

Abstract: *The title is the threshold of reading, and it is from the point of view of its initiation, with which it seeks help from the texts and does not scatter them. It is its first engine. It is the necessary passage that serves the story in receiving it, as it refers to it and shortens its path. It is not possible for the title and the text to dispense with each other, for without the text the title alone is incapable of forming its semantic surroundings, and without the title the text is constantly subject to dissolution in other texts. As a result of this parallel between the title and the text, which leads to the necessity of an integrative correlative relationship, in which the former occupies the forefront on the cover of the book, and remains firmly in the memory more than the content. The title leads the reader to enter the world of the text to reveal what it aims at, the possibilities it presents for reading, and the extent to which it relates to the text. This article deals with the semiotics of the title of the novel 'حمائم الشفق' by the Algerian Novelist El Djilali Khallas. The description of the title as an idea, a word or a large sentence carries with it several meanings as a sign indicating the general idea of the text. Besides, the title is the basic structure that helps to deconstruct and interpret the global structure (text).*
Keywords: *Dictionary meaning, text, title, semantics, structure.*

الملخص: يتطرق هذا المقال إلى سيميائية عنوان رواية (حمائم الشفق) للروائي الجزائري الجيلالي جلاص، إن وصف العنوان باعتباره فكرة أو كلمة أو جملة كبيرة يحمل في طياته عدة معاني باعتبارها علامة تدل على الفكرة العامة للنص، بالإضافة إلى أن العنوان هو البنية الأساسية التي تساعد على تفكيك وتفسير البنية الكبرى (النص).
الكلمات المفتاحية: الدلالات، البنية، العنوان، النص، المعنى القاموسي.

مقدمة

إن العنوان بوصفه فكرة أو كلمة أو جملة كبيرة، فإنه يحمل الكثير من الدلالات للنص باعتباره العلامة الدالة المسؤولة على تعيين النص والتصريح به؛ بل يشتغل أيضا على أنه البنية الهامة المساعدة على تفكيك وتفسير البنية الكبرى(النص). مما يختزن مجموعة من الإيحاءات والمعاني المضمرة ضمن هده العلامة (العنوان)، فيعرف الأول عن الثاني (النص) ليكون مساندا وموازيا للعنوان.

يعد العنوان " عتبة القراءة وهو من جهة بدؤها، به تستعين على النصوص ولم شتاتها، إنه محركها الأول[1]". فهو" الممر الضروري الذي يخدم الحكاية في تلقيها إذ يشير إليها ويختصر مسارها[2]".

من غير الممكن أن يستغني" العنوان والنص" عن بعضهما البعض "إذ بدون النص يكون العنوان وحده عاجزا عن تكوين محيطه الدلالي، وبدون العنوان يكون النص باستمرار عرضة للذوبان في نصوص أخرى، وعليه فإن العنوان كعلامة أو أمارة تشير إلى النص، يكون أشبه بالهوية، أو اللافتة الاشهارية[3]".

فنتيجة هدا التوازي بين العنوان والنص والذي ينتهي إلى وجوب علاقة تلازمية تكاملية حيث يحتل فيها الأول الصدارة على غلاف الكتاب، ويبقى راسخا في الذاكرة أكثر من المحتوى. كونه يمثل "عتبة القراءة يلج منها القارئ إلى عالم النص[4]" ليكشف عما يهدف إليه، وما يقدمه من احتمالات للقراءة، ومدى تعلقه بالنص. مما ينتج عن قراءتنا للنص والعنوان (علاقة جدلية)، يحاول العنوان فرض نفسه على النص، ويبقى العنوان قابلا لعدة تأويلات فيصبح العنوان بالنسبة له " كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول ويؤسس سياقا دلاليا، يهيئ المتلقي لاستقبال العمل[5] "، فيترك المجال للقارئ المبدع الدي هو " مطالب بأن يقوم بنشاط دهني مزدوج، حيث يتلقى اقتراحات المؤلف، ثم يعيد بناءها من جديد ليكتشف نصه الخاص[6]" من خلال فهم النص وسبر أغواره لأن فهم النص يقترن بالضرورة بفهم العنوان. و"إدا كان العنوان أول عتبة تصادف القارئ، فإنه آخر علامة توسج النص بعد أن تكتمل صورته[7]، فتدل

---

[1] علام حسين العجائبي في رواية ليلة القدر للطاهر بن جلول رسالة ماجستير 2001-2002ص 70 السانية وهران.

[2] ن م م ص 70

[3] الطاهر رواينية الفضاء الروائي في الجازية والدراويش مجلة المساءلة اتحاد الكتاب الجزائريين عدد1 شتاء 1991 ص 15.

[4] م ن م ص 15.

[5] محمد فكري العنوان وسيميوطيقا الاتصال الادبي الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة مصر ط 1998 ص 45.

[6] حميد الحمداني القراءة وتوليد الدلالة المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط1 2003 ص 13.

[7] عامر الحلواني سيميائية الأرض والهوية في قصيدة حصار لفوزية العلوي مجلة علامات عدد 29.ص 69

على محتواه العام، كما تغري القارئ بالتواصل معه انطلاقا من تعدد القراءة وإخراج أسراره ومكنوناته من حيث المفاتيح الإجرائية للنص.

وعليه اخترنا أحد أعمال الجيلالي خلاص رواية "حمائم الشفق". وما يثيره هدا العنوان من جدل، فما هي دلالة "حمائم الشفق"؟ وما علاقة العنوان بالنص؟ كل هده التساؤلات سنجيب عنها من خلال تحليلنا لهدا العنوان. لهذا العنوان بعد دلالي رمزي مما يترك لدى القارئ طابع الحيرة.

فأول ما نختار من هدا العنوان الكلمة الثانية (الشفق") باعتبارها المضاف إليه الذي يقوم على كاهله تعريف كلمة حمائم.

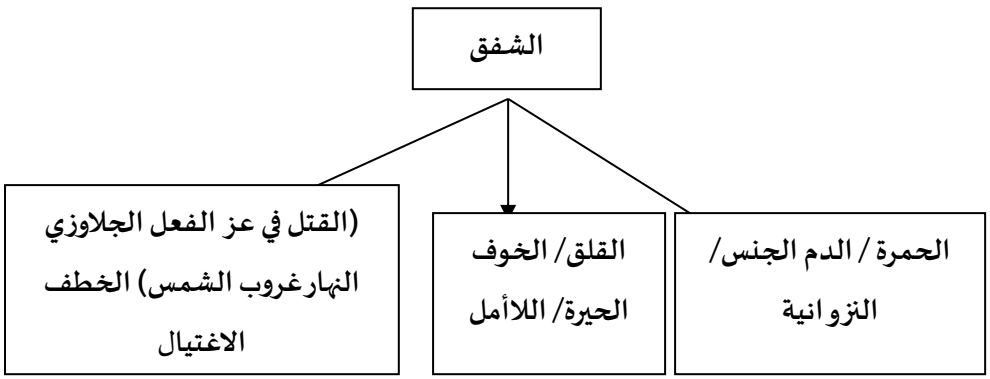
فالمعنى المعجمي للشفق[8]

الشفق الاسم من الإشفاق والشفق الخيفة شفق شفقا، فهو شفق، والجمع شفيقون، قال الشاعر اسحاق بن خلف وقيل لابن المعلى:

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرم

وأشفقت عليه وأنا مشفق وشفيق وإذا قلت اشفقت منه فإن ما تعني حذرته، وأصلها واحد وشفق لغة والشفق الشفقة: الخيفة من شدة النصح والشفيق الناصح الحريص على صلاح المنصوح وقوله تعالى الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل ترى في المغرب إلى صلاة العشاء.

وبالنظر إلى المعنى المعجمي وبعد قراءتنا للرواية وفهم مضمونها، تصبح هده الكلمة(الشفق) دالة على ثلاثة معاني نمثلها في الخطاطة التالية



[8] ابن منظور لسان العرب دار المعارف ط جديدة ص 2292مادة الشفق كورنيش النيل القاهرة.

تمثل هده الخطاطة أهم الدلالات التي استنتجناها من الرواية والعنوان وهي كالتالي:

أولا الحمرة: هو لون الشفق بعد غروب الشمس (أول الليل) وهو اللون القريب إلى العتمة فالأحمر رمزا للثورة والجنون، كما يوحي إلي الدم والموت، إذ يفسر في الرواية ظاهرة الاغتيالات المستمرة التي مست بوجبل والساهي وجنون جميلة مع ظهور الشفق. كما أنه يحيل أيضا على الجنس والنزوانية "كالموجة الولهى إذ يدفعها الصبا عند الشفق المحمر إلى شفاه الصخور الممططة المدببة لثمته أنت ذات يوم[9]..."

ثانيا نهارلكن أول الليل "غروب الشمس" وهذا اللون عموما من الناحية النفسية يعكس عدة مظاهر للخوف على الرغم من أنه يتصف بالهدوء والسكون فإنه يحمل في طياته معاني كثيرة وهي كالتالي القلق والتخوف من الليل، الحيرة اليأس التيهان، اللاأمل.

ومن الطبيعي أن تخشى الحمائم قدوم الليل، وتخاف التيهان في الجو. لدا تجدها مضطرة للبحث عن مأوى يقيها من هدا الظلام. فهي تستجيب لعلامات طبيعية. وكدا الإنسان هو أيضا بطبيعته بعد غروب الشمس يعود إلى مكانه الاعتيادي حتى يشعر بالاطمئنان النفسي. ولأن الليل يدل على الهدوء والصمت. فالإنسان دوما ما نجده منتظرا للسلبية وأمور أخرى يصعب حلها بالليل أحيانا "... والشفق على الأبواب يندر بتجهم الطبيعة مما كان يبعث الهلع حتى في نفوس تلك النوارس التي كانت تخاف بلا ريب أن تفقد بياضها إدا ما جن الليل وبقيت تحوم حول البواخر[10] ". و"كأنه اليأس القاتل يجترر جفونهم مكبلا بسلاسله الثقيلة أهدابهم غير انهما هما كانا يدركان أن غفوة المدينة لم تكن سوى الهدوء الذي ينذر بقدوم العاصفة[11] ".

ثالثا لم يعد هدا التحليل "يعني" المعنى القاموسي المتعارف عليه لما يوحي عليه لون الشفق، بل يتجاوز دلك ليدل من خلال الرواية الشفق الفعل الجلاوزي؛ الذي يعكس المعاملة السيئة التي اتصف بها الجلاوزة والمشيخة في التصدي والضغوطات التي يمارسونها في حق الشعب وخاصة المثقفين الدين يمثلون دور الحمائم.

---

[9] جيلالي خلاص حمائم الشفق م وك الجزائر 1986 ص .41

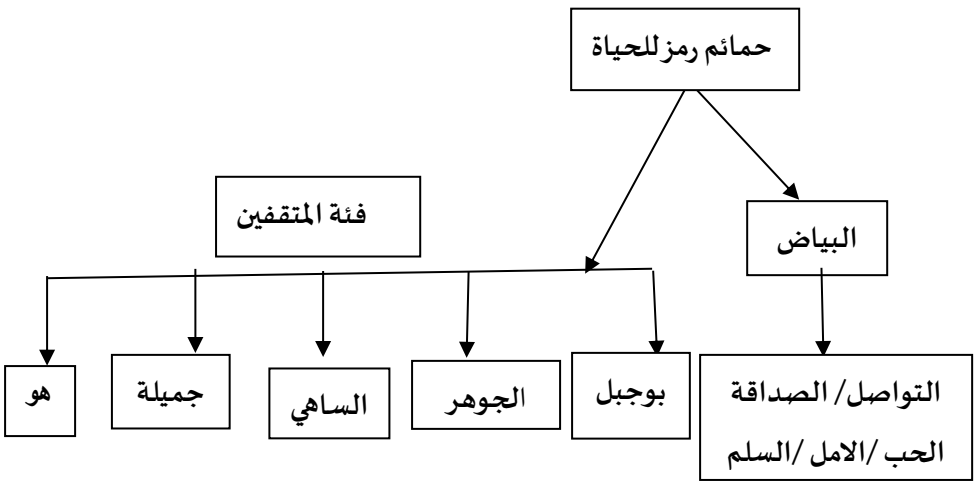
[10] حمائم الشفق ص 122 .

[11] م ن س ص 123.

على الرغم من رفض بيع الوطن وعدم السكوت للمتآمرين وروح التمرد الذي اتصف بها كل من بوجبل والساهي وجميلة ووالدتها، إلا أن الجلاوزة كانوا الأكثر التزاما بمواقفهم السلبية ويتصدون لهم بطرقهم الخاصة كالقتل، والنصب، والاغتيالات" دون تردد وخاصة مع أول الليل (جنون جميلة، خطف الساهي واغتيال بوجبل). إلا أنهم كانوا ا يتهربون ويلصقون تلك الأفعال التي يرتكبونها بالشباب المتهور ."بيد أن المأساة التي لم تتوعدنها فعلا هي اقدام الجلاوزة على بقر بطونكن لنتر اجنتكن التي حبلتان ليلتها بحجة أنها عصابة أشرار لم ترس في أرحامكن المرعدة إلا لتهييج بحر شيخ المدينة[12] " .وفي مقطع سردي آخر يتحدث السارد عن خبث الجلاوزة والمشيخة وعن فكرة تنظيم النسل والتي كانت مشروع ايهامي هدفهم هو توقيف النسل الذي يخرب مشاريعهم " والواقع أن كن كنتن متيقنات أنت حملة تنظيم النسل التي شنها جلاوزة المشيخة لم تكن سوى ضباب يتستر خلفه شبح المدينة[13]"

يعد الشفق رمزا للغضب الجلاوزي الذي يخافه الشعب، ما يغدو أيضا رمزا لعاصفة تتجدد وتستمر مع ما يطمح إليه الجلاوزة والمشيخة من نفود وحب السلطة.

عندما ننتقل إلى كلمة حمائم التي نعتبرها علامة فنية لا تحمل إلا معاني إيجابية وهي الكلمة المقابلة للشفق. لنجدها تدل على معنيين وفق الخطاطة التالية من خلال فهمنا للمضمون الرواية.



[12] حمائم الشفق ص 171.

[13] م ن س ص .172

أولا: يحيل المعنى الأول وهو المعنى المتعارف على "حمائم" إلى اللون البياض الذي يوحي إلى معاني الحب، والأمل والصداقة، والسلم. فالحمام بطبيعته مسالم وأداة الوصل والاتصال و" حمل الرسائل من مكان إلى مكان، ويكثر استعماله في بعض الحروب ′ج حمائم وحمامات[14]"

ثانيا: أما الحمائم في الرواية هم: الشخصيات الأساسية المذكورة سابقا على المخططات التي تحمل هي الأخرى معاني الإخلاص للوطن والحب، والتفاني له، وهي حمائم كانت مستسلمة للموت رافضة بيع المبادئ، والدوس عليها ورافضة للمغريات المقدمة من طرف الشيخ والجلاوزة. "اولئك البررة الدين سبقوهما حاملين شموع بصيص الأمل[15] أما بوجبل فهو " الذي لم يمت كما كان الجلاوزة يعتقدون وإنما تراجع هناك خلف الشاطئ الاستراتيجي متلبدا بمحلول الخلود حتى يقدر على زيارتكن في الليالي الموحشة ليسقيكن مصل التمرد العارم الكاسر لحشفات الجبناء العقيمة[16]. فمازالت هذه الشخصية موجودة في أذهان الشعب لما قدمته للوطن من تضحيات كلفته أسرته وأهله.

ومادامت الحمائم تحمل كل معاني الحب والإخلاص، وكل ما هو ايجابي، فإن خلاصا لجأ إلى العلامة التي هي " البديل التعبيري المادي للأشياء والظواهر والمفاهيم التي يستخدمها مجتمع من المجتمعات في عملية تبادل المعلومات وعلى دلك فالسمة الأساسية للعلامة هي قدرتها على القيام بوظيفة البديل[17] ". والبديل في حمائم الشفق، هو الحمائم بدل المثقفين، الدين يحرصون على الاهتمام والحفاظ على القيم والحضارة وتحقيق الحرية، والعدالة وكشف المستور، وتوعية الشعوب وفضح أساليب السلطة، وهدا ما كان واضحا في لوحات الساهي الفن التشكيلي "، وفي عناد بوجبل وثباته وإصراره على قرارته وعدم الرضوخ لهم، وفي" هو" الذي يرمز إلى جيل الحرية.

أول ما نلاحظه على واجهة الغلاف للرواية كتابة العنوان باللون الأحمر البارز الذي يحيل على الرغبة في التحرر من قيود اللغة، والانفلات كما يترجم اتجاه الروائي. إن خلاصا كأي روائي

---

[14] جبران مسعود الرائد معجم اللغوي الأحدث والاسهل دار العلم للملايين ط8 2001 ص 503

[15] حمائم الشفق ص 123.

[16] حمائم الشفق ص .179

[17] يوري لوتمان سيميوطيقا السينما تر نصر أبو زيد مدخل إلى السيميوطيقا مترجمة سيزا قاسم دار اليأس العصرية القاهرة 86 ص 266.

يهتم بتوظيف هده الألوان في أعماله الإبداعية ويتفنن فيها" لأغراض تعبيرية وايحائية، وهكذا يصبح اللون عند الفرد موصلا لرسالة أو حالة أو موقف[18]"

بالإضافة إلى الدم والموت، جاء اللون الأحمر معبرا عن الشهوة وعلى الاندفاع والانطلاق والنشاط. ورمز للرغبات الجنسية، وعن العلاقات الحميمية بين الشخصيات (بوجبل، الجوهر) (الساهي وجميلة) فاللون الأحمر حسب النفسيين دائما يرمز الى " العاطفة والرغبة البدائية والنشاط الجنسي وكل أنواع الشهوة[19]...." ولعل رواية حمائم الشفق تظهر تلك الحميمية والتباهي بالجسد الأنثوي وحضور مكثف لوصف العلاقات الحميمة. إن كان مضمونها يسعى إلى البناء لا لإظهار الجسد والرغبات الشهوانية.

تصميم الغلاف وعلاقته بالمضمون الروائي

إن كل مادة أدبية تلتزم بغلاف يحميها من التلف، وحامل لكل مؤشراتها فهو «كخطاب أولي يقع خارج النص، يثير إمكانات تأويلية لما هو بالداخل[20].."

إذن، فالغلاف هو الوجه الخارجي أو الصورة الخارجية لما تتضمنه المادة الأدبية لتكون العلاقة بين المادة الأدبية والغلاف علاقة توازي. لأن الغلاف تتحدد عليه معالم النص ومعانيه، وتهيئ للملتقى نوع من المعرفة الفنية مما يأخذ انطباعا وخبرة عن هدا النص.

فادا نظرنا إلى الغلاف الخارجي للرواية نجده متضمنا اسم الكاتب والعنوان ثم الصورة الفوتوغرافية. أما الصورة الفوتوغرافية فإنها تحتمل الكثير من القراءات، ولها أبعاد تعبيرية ومضمرة داخل النص، اذ تتجلى خطورة هدا البعد الفني فيما تقدمه الصورة وما توحي به للمادة الأدبية. فيما يشكل تساؤلا وحيرة فيما مدى علاقته بالمحتوى، وهل صورة الغلاف تفي بالغرض أم هي مجرد صورة تزيينية فقط؟

ليس بالضرورة أن تتطابق المادة الأدبية مع الصورة الموجودة على غلاف الرواية لكن الصورة كقراءة خاصة تعد وسيطا فنيا تتجلى جماليته في المسافة القائمة بين العمل الأدبي كمنتوج خام وبين الرسم، كإعادة ترهين "**Reactialisation**" للنص باللون والخطوط[21]".

---

[18] فريال جبوري علم العلامات السيميوطيقا مدخل استهلالي إلى السيميوطيقا ص 9 و10 .

[19] أحمد مختار عمر اللغة واللون عالم الكتب القاهرة ط 1997 ص 229.

[20] عائشة زمام خريف بطريق لغارسيا ماركيز رسالة ماجستير جامعة وهران 2001 ص 228.

[21] عائشة زمام نفس المرجع ص .239.

ولنعتبر هده الالوان أو الخطوط بمثابة الدال على ما تضمنه المادة الأدبية وما يحمله من رموز وعلامات.

ففي رواية حمائم الشفق "تتصدر غلاف النص لوحة زيتية ذات منظر طبيعي ملفت للنظر يعكس كل ما تحمله وتتحمله الشخصيات من ألم، وصراع، ومن أمل وحياة سعيدة للوطن. لنجد الصخرة الكبيرة التي تتوسط البحر تعبر عن الفعل أو الوجود الجلاوزي، ويحيل هدا الأخير إلى حب التسلط والغضب والانفعال في كسر المبادئ الإنسانية؛ ولعل إبراز الصخرة في هذه المساحة أو المشهد الفوتوغرافي لا يعني سوى وجود قوة معاكسة تهدد دلك التطلع الايجابي للوطن. أما الأمواج باعتبارها العامل المعاكس والمنفذ للمآسي تقف موقفا سلبيا أمام الحمائم أو النوارس.

وما يلفت الانتباه في هدا المشهد الفوتوغرافي هو طغيان اللون الأزرق، بكل تدرجاته دون الألوان الأخرى، ولأن الألوان "لها" دورا مهما في إضافة البهجة والأهمية لحياتنا فمثلا يختار كثير من الناس ألوان ملابسهم بعناية تامة ويزينون منازلهم بألوان تحدث آثارا جميلة أو مسرة أو متعة للناظرين يحاول الفنانون جعل رسوماتهم أكثر واقعية وتعبيرا باختيارهم وترتيبهم للألوان بتمعن[22]"

يضفي "جيلالي خلاص "|اللون الأزرق على هده الصورة بكثرة ولعله يأمل لهدا الوطن حياة مليئة بالحب والأمل والاطمئنان، إذ يتطلع إلى بناء حياة جديدة تخلو من المآسي والصراعات، ومشاكل السلطة، والغاية من كل دلك تحقيق العدل والأمن للوطن.

تطرح الصورة أو اللوحة الزيتية الكثير من الدلالات والإيحاءات، تختلف من ناظر إلى آخر. لكن بعد قراءة الصورة والنص معا، يصعب علينا تحديد الموقف الفني الصحيح الذي يتماشى مع النص والغلاف.

فإذا نظرنا إلى صورة الغلاف لرواية "حمائم الشفق " نشاهد أن الحمائم أو النوارس تأخذ لون السماء (الأزرق) التي تعبر عن الصفاء والحرية وحب الانتماء إلى هدا المكان" البحر ". كما يوحي هدا اللون إلى حب الاستمرار، والحياة المتجددة، والأمل المنتظر لتكون النوارس والحمائم بمثابة الحارس أو الحامي للممتلكات البحر فهي أمل الحياة وسندها أما لون البحر يدل على البهجة والحرية والرومانسية. حيث يدل اللون الأزرق عند النفسيين على ما يلي "فالقاتم يدل

[22] الموسوعة العربية العالمية لمؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط الثانية ص 214.

على الخمول والكسل والهدوء والراحة، أما الفاتح فيعكس الثقة والبراءة والشباب والأزرق العميق يدل على التميز والشعور بالمسؤولية[23]". وفي ظل هدا الظلم ومشاكل السلطة والاغتيالات يحلم " الجيلالي خلاص " بأيام زرقاء للوطن، وللمثقف الجزائري والتي لم تحظ بها الجزائر على مدى خمسة قرون.

ومن خلال هذا المشهد الفوتوغرافي استطاع الروائي "جيلالي خلاص" أن يزاوج بين الطبيعة والألوان والمضمون الروائي، أو بين الطبيعة والواقع المعاش فكانت الطبيعة وبمناظرها الخلابة تعكس الظروف التي قاستها الحمائم أو شخصيات الرواية فعلى الرغم من الحميمية مع مكانها البحر إلا إن هناك عوامل معاكسة لهذا الأخير "الحمائم".

يشعر الناظر لهذا المشهد الفوتوغرافي بالاطمئنان والجمال والحب، والصفاء ويحس من جهة أخرى بالحيرة والخوف والقلق، والاغتراب. ولأن البحر عميق يحمل كثير من الدلالات والثنائيات الدالة يتمثل في الخطورة والحياة الهادئة الحميمية بين الحيرة والخوف، والأمل والحب.

References

[1] Ibn manẓūr Lisān al-‘Arab Dār al-Ma‘ārif Ṭ jadīdah Kūrnīsh al-Nīl al-Qāhirah.
[2] Aḥmad Mukhtār ‘Umar al-lughah wa-al-lawn ‘Ālam al-Kutub al-Qāhirah Ṭ. 1997.
[3] Ḥamīd al-Ḥamdānī al-qirā’ah wa-tawlīd al-dalālah al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī al-Dār al-Bayḍā’ Ṭ1 2003.
[4] Jubrān Mas‘ūd al-Rā’id Mu‘jam al-lughawī al’ḥdth wālāshl Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn ṭ8 2001.
[5] Jīlālī Khallāṣ Ḥamā’im al-Shafaq M wk al-Jazā’ir 1986.
[6] Al-Ṭāhir rwāynyh al-faḍā’ al-riwā’ī fī aljāzyh wāldrāwysh Majallat al-musā’alah Ittiḥād al-Kitāb al-Jazā’irīyīn ‘dd1 Shitā’ 1991.
[7] ‘Ā’ishah zimām Khurayyif bi-ṭarīq lghārsyā mārkyz Risālat mājistīr Jāmi‘at Wahrān 2001
[8] ‘Āmir al-Ḥalawānī sīmiyā’īyah al-arḍ wa-al-huwīyah fī qaṣīdat Ḥiṣār lfwzyh al-‘Alawī Majallat ‘Alāmāt ‘adad 29.
[9] ‘Allām Ḥusayn al-‘Ajā’ibī fī riwāyah laylah al-qadar lil-Ṭāhir ibn Jallūl Risālat mājistīr 2001-2002 alsānyh Wahrān.
[10] Firyāl Jubūrī ‘ilm al-‘alāmāt al-Sīmiyūṭīqā madkhal asthlāly ilá al-Sīmiyūṭīqā Ṣ 9 wa-10.

[23] أحمد المختار اللغة واللون ص 228.

[11] Muḥammad Fikrī al-‘Unwān wa-sīmiyūṭīqā al-ittiṣāl al-adabī al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb al-Qāhirah Miṣr Ṭ 1998.
[12] Al-Mawsū‘ah al-‘Arabīyah al-‘Ālamīyah li-Mu’assasat a‘māl al-Mawsū‘ah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘ Ṭ al-thāniyah.
[13] Ywry lwtmān sīmiyūṭīqā al-sīnimā tara Naṣr Abū Zayd madkhal ilá al-Sīmiyūṭīqā mutarjamah Sīzā Qāsim Dār al-ya’s al-‘Aṣrīyah al-Qāhirah 86.